الفصل الثالث

الأدب في عصري الموحدين وبني الأحمر

٥٤١ -٦٣٥، ٦٣٥ -٨٩٧هـ

الفصل الثالث

الأدب في عصر الموحدين

٥٤١ -٦٣٥هـ

توطئة تاريخية.

بدأت دعوة الموحدين بالمغرب سنة ٥١٤للهجرة عندما اعلن زعيمهم محمد بن عبد الله بن تومرت من قبيلة هرغة البربرية ثورة على المرابطين، وكانت حركته دينية تدعو الى التوحيد وعلم الاعتقاد وتقوم على اساس الامانة الدينية ونظرية المهدي المنتظر وبعدها تحولت ثورته الى سياسية تعتمد طريق القوة من اجل التغيير، وبعد وفاته اثر هزيمة امام المرابطين سنة ٥٢٤ للهجرة تولى عبد المؤمن بن علي أمر الموحدين الذي خرج سنة ٥٢٨ الى المرابطين واستولى على كثير من الاراضي التابعة لهم والتقى بامير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين سنة ٥٢٩ هـ وهزمه وقتله واستولى على معظم الاراضي الخاضعة لهم ومن ثم انقض على آخر أمرائهم اسحاق بن علي بن يوسف سنة ٥٤١ وقتله وانهى دولتهم في المغرب، اما في الاندلس فكان الصراع شديداً بين المرابطين الذين كانوا في اضعف حالة وبين سكان البلاد من العرب والمولدين اضافة الى استقواء الممالك النصرانية في الشمال واستيلائهم على كثير من أراضي الاندلس ومدنهم، مما أدى بالاندلسيين الى الاستنجاد بالموحدين للدفاع عنهم، فسير عبد المؤمن بن علي قواته سنة ٥٤٦ هـ الى الاندلس وسيطر على معظم المدن والاقاليم التي كانت خاضعة للمرابطين واصبحت الاندلس ولاية تابعة لدولة الموحدين في المغرب، وانشغل بالحرب الداخلية في شمال افريقيا ومحاربة الاسبان في الاندلس وتوفي عبد المؤمن في سنة ٥٥٨ هـ وخلفه ابنه ابو يعقوب يوسف وكان حسن السياسة والتدبير في الاندلس وتوفي سنة ٥٨٠ للهجرة بعد ان جرح في معركة منتصرة ضد البرتغاليين وتولى ابنه يعقوب وتلقب

بالمنصور الى سنة ٥٩٥ للهجرة وانتصر على الاسبان في معركة " الارك " المشهورة سنة ٥٨٥ للهجرة ومن ثم في معركة اخرى سنة ٥٩١ وتولى بعده ابنه محمد (٥٩٥-٦١٠) ولقب بالناصر لدين الله وفي عهده اخذت دولة الموحدين بالاضمحلال والافول ووقعت معركة " العقاب " سنة ٦٠٩ للهجرة وكانت نذير شؤم بزوال حكم المسلمين في الجزيرة وانتشار الفوضى والثورة وظهور دويلات الطوائف وسقطت بعدها المدن الاندلسية، قرطبة سنة ٦٣٣ هـ بعد حصار دام لعدة اشهر وبلنسية سنة ٦٣٦هـ وجيان ٦٤٦ وطرطوشة ولاردة وشاطبة سنة ٦٤٥هـ واشبيلية سنة ٦٤٦ للهجرة بايدي القشتاليين بمعونة بني الاحمر الذين ابقوهم على غرناطة وما حولها ليشكلوا دولة بني الأحمر في بقعة صغيرة من الاندلس[١].

الحالة الثقافية:

على الرغم من كثرة نزاعات الموحدين مع خصومهم في شمال افريقيا ومع النصارى في الاندلس، فقد اهتم ملوك الموحدين بالعلم وكانت مجالسهم عامرة بالعلماء ولاسيما الفقهاء، فازدهرت العلوم الاسلامية، مثل علم القراءات والتفسير والحديث والفقه واصوله الى جانب الطب والرياضيات والفلسفة والتاريخ وبرز كتاب التراجم مثل ابن بشكوال (٥٧٨) صاحب كتاب الصلة وابن دحية (٦٣٣ هـ) وكتابه " المطرب في اشعار اهل المغرب " وابن الابار (٦٥٨) وكتابه " الحلة السيراء " وابن سعيد (٦٨٥) وكتابيه " المغرب في حلى المغرب " و " الغصون اليانعة في شعراء المئة السابعة " وعبد الواحد المراكشي (٦٤٧) وكتابه " المعجب " وابن عبد الملك المراكشي (ت٧٠٣) " صاحب الذيل والتكملة " وابن عذارى (٧١٣هـ) وكتابه " البيان المغرب " وغيرهم، وفي الفلسفة ظهر ثلاثة كبار ابن طفيل وابن زهر وابن رشد.

---

[١] للمزيد عن تاريخ دولة الموحدين ينظر : الكامل ، ابن الاثير ، ج : ٩: ٥٠-٧٠ ، ٣٣٢ ، تاريخ الاسلام السياسي ٤ : ٢٢٢ ، حسن ابراهيم حسن ، روض القرطاس ٢ : ١٩٣ ، ابن ابي زرع ، النفح ٤ : ٤٧٢ ـ عصر المرابطين والموحدين ٢ : ٤١٧ ، محمد عبد الله عنان ، تاريخ ابن خلدون ٤ : ١٧٩ ، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين : ٢٤٧-٥٢٨ ، د. علي محمد الصلابي .

الأغراض الشعرية:

استمرت الاغراض القديمة في الشعر، وصنفها د. محمد مجيد السعيد الى المديح والوصف والغزل " التقليدي والغلمان " والخمر والشكوى والهجاء والشعر الديني والتصوف والرثاء[1] ولم تختلف موضوعاتها عن العهود السابقة عدا ثلاثة اتجاهات برزت في ذلك العصر وهي: -

١- غزل الشواعر.

٢- رثاء المدن الساقطة بيد الافرنج.

٣- شعر التصوف.

١- غزل الشواعر: -

تميز عهد الموحدين بكثرة الشواعر الغواتي عبرنّ عن خلجاتهن وخفقات افئدتهن متشوقات او متتطلعات الى حبيب لهن، ووصف جمالهن ومفاتهن والتعبير احياناً عن تجربة غرام حقيقية عاشتها واكتوت بنارها، وبرزت في تلك الفترة اسماء النساء عرفن بالشعر لكن اخبارهن واثارهن ظلت قليلة واصبحن من المقلات في الشعر لان الذوق العام لم يتعود على سماع غزل النساء ولم تستسيغ تحولهن من معشوقات الى عاشقات على الرغم مما كانت تتصف بها المرأة الاندلسية من الحرية، اضافة الى ان المرأة ولاسيما المغنيات كن يرددن قصائد غزلية للشعراء، وقد تختلط قصائدهن احياناً بقصائد الغزل بالغلمان ويمكن التفريق بينها بسهولة لان الغزل بالغلمان يقتصر في الغالب على العذار والخدود ومذبت الشوارب بينما غزل النساء معظمه نسيب في بيان عاطفة الحب وخفقان القلب والميل الى معشوقهن والبوح بغرامهن، والغيرة والاغراء باظهار صفات اجسامهن والشكوى من عدم الزواج وقد تتجاوز الى البوح بقص لقاءاتهن او زيارتهن وما يترتب عليها من الحديث والقبلات

---

[1] الشعر في عهد المرابطين والموحدين ، محمد مجيد السعيد ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٥ .

و هذا غير معهود في الادب العر بي، و من ا برز شواعر القرن السادس الشاعرة نزهون بنت الكلاعي وكانت " شاعرة ماجنة كثيرة النوادر "[١] قليلة الحياء وقعت في ا هاجي مع شعراء معروفين مثل الاعمى التطيلي وابن قزمان... ويتجلى فيها الاقزاع والفحش وخروج عن المألوف، وقصائدها العاطفية كانت اقل مجونية ولكنها لم تخل من صراحة كقولها: [٢]

لله درُّ اللَّيـــالي مـــا أُحَيسِنَهـــا ومـــا أحيسِـــنَ منهـــا ليلـــةَ الاحَـــدِ

لـو كنـــتَ حاضـرنا فيهـــا وقد غفلَـتْ عيـــنُ الـــرقيب فلَـم تنظُـر الـى أحَـدِ

ابصـرتَ شـمسَ الضُّـحى فـي سـاعِدي بَـلْ ريـمَ خـــازِمةٍ فـي سـاعدَى أسَـدِ

وفي الموضوع نفسه الشاعرة أم الهنا بنت القاضي عبد الحق بن عطية لها أبيات غزلية رقيقة فيها زينة لفظية بديعية بعيدة عن الفحش قائلة[٣]:

جـــاء الكتـــابُ مِـــنَ الحبيـــب بأنّـــه ســـيزورني فاســـتعْبرتْ اجفـــاني

غلـــبَ السُـــرورُ عـــليَّ حتـــى أنّـــهُ مـــنْ عظـــم فَـــرْطِ مَسّـــرتي أبكـــاني

يـــاعينُ صـــار الـــدمعُ عنـــدكِ عـــادةً تبكيـــن فـــي فـــرح وفـــي أحـــزانِ

فأستقبـــــلي بالبِشـــــر يـــــوم لقائـــــهِ وَدَعـــي الـــدموعَ للَيْلـــةِ الهِجـــرانِ

كما ظهرت قسمونة بنت اسماعيل، و هي شاعرة يهودية عاشت في القرن السابع للهجرة، وكانت لها القابلية على البداهة والارتجال، واشتهرت بأبيات شعرية فيها شكوى من عدم الزواج وذات يوم نظرت في المرآة و هي في شرخ شبابها ولم تتزوج فأنشدت[٤].

---

[١] المغرب ٢ : ١٢١ .

[٢] النفح ٤ : ٢٩٨ ، الإحاطة ١: ٤٣٢ ، الأدب الأندلسي : ١٥٦ ، د. مصطفى الشكعة ، والشعر في عهد المرابطين والموحدين : ١٧٤ .

[٣] النفح ٤ : ٢٩٢ .

[٤] النفح ٥ : ٧٤ .

ارى روضـــةً قـد حـــان منهـــا قِطافُهـــا ولســـتُ أرى جـــانٍ يمـــدُّ لهـــا يـــدا

فـــوا أســـفا يمضـــي الشـــبابُ مُضيّـــعا ويبقـــى الـــذي مـــا إنْ أُسَـــميّه مفـــردا

وقوله عند يقع بصرها على ظبية مفردة كانت تقتنيها فتقول مخاطبة اياها: [1]

يـــا ظبيـــةً تـــــرعى بـــروضٍ دائمـــاً إنّـــي حكيتُـــك فـــي التَّـــوَحُش والحَـــوَر

امســـى كـــــلانا مُفـــرداً عـــن صـــاحبٍ فالـــنصبر أبـــداً علـــى حكـــم القَـــدَر

واشتهرت الشاعرة حفصة بنت الحاج (حفصة الركونية ت ٥٨١) وكانت تمثل شاعرات غرناطة في القرن السادس للهجرة، كانت جميلة ذات حسب ومال[2] وقد وقعت في غرام الوزير الشاعر أبي جعفر بن سعيد، افرزت تلك العلاقة نظماً يمثل نموذجاً لشعر النساء العاطفي، وقصتها مشابهة لقصة ابن زيدون مع ولادة بنت المستكفي في عصر ملوك الطوائف، وتختلف عنها ان حفصة بقيت مخلصة لحبيبها حتى بعد مقتله بسببها من قبل الحاكم الموحدي ابو عـــثمان بن عبد المؤمن الذي كان ينافس الشاعر في تملك قلبها، وكانت حفصة " رخيمة الشعر رقيقة النظم والنثر " [3] وقد سجلت غرامها وعلاقاتها بصدق وواقعية، وما بينهما من خلوات وزيارات، واصبحت عاشقة لا معشوقة، وعن زيارتها ووصف جمالها لإغراء حبيبها تقول: [4]

زائـــر قـــد أتـــى بجيـــــد غـــزال مطلـــع تحـــت جنـــحه للهـــلال

بلحـــاظ مـــن سحـــــر بابـــل صـــيغت ورضـــاب يفـــوق بنـــت الـــدوالي

يفضـــح الـــورد مـــا حـــوى منـــه خـــد وكـــذا الثغـــــر فاضـــح للآلـــي

وهذا وصف عكسي وغزل معكوس في وصف المرأة جمال جسدها بعكس ما اعتدنا عليه من وصف الرجل لمفاتن المرأة، وقد يدخل في باب الاثارة او عرض

---

[1] نفسه والصفحة .
[2] النفح ٥ : ٣٠٣ .
[3] المطرب : ١٠ .
[4] المغرب ٢ : ١٣٩ ، الاحاطة ١: ٥٠١ .

الجمال الذي من غريزة النساء وكانت تتميز بلطف وخفة روح وصفاء بديهة ولشهرتها كان الناس يستوقفونها ويطلبون منها تسطير شيء من شِعرها على اوراق يحملونها على سبيل التذكار كما في أيامنا هذه مع الفنانين والفنانات [1] وعن غيرتها، وهو لون جديد في غزل المرأة تمثل مرحلة التملك والأنانية تقول: [2]

أغارَ عليكَ مِنْ عينيَ رقيبي ومنكَ ومنْ زمانك والمكانِ

ولو أنّي وضعتُك في عُيوني الى يوم القيامةِ ما كفاني

وكانت تعتقد ان الطبيعة من الرياض والورود تحسدها وتغير عليها[3]

لَعمرُك ما سُرَّ الرياضُ بوَصلنا ولكنه أبدى لنا الغُلَّ والحسدَ

ولا صفقَ النهرُ ارتياحاً بقربنا ولا غرَّد القُمري إلا لِما وجدَ

إن غزلها فاق غزل الرجال بالنساء اضافة الى اشكال الاثارة والاغراء، وانها لم تكن تتحرج من بوح تفاصيل لقاءاتها.

وانصِفُها – الا اكذبُ الله – إنني رشفتُ بها ريقاً ارقَّ من الخمرِ.

وكانت مخلصة له، ولم يستطع الحاكم بعد التخلص من عشيقها الدخول الى قلبها، وقد سجلت اجمل القصائد الرثاء، وقد لحقت به بعد مدة قصيرة [4].

هددوني من اجل لبس الحداد لحبيب أردوه لي بالحداد

رحمَ الله من يجود بدمع او ينوح على قتيل الاعاد

وسقته بمثل جود يديه حيث اضحى من البلاد الغواد

---

[1] الادب الاندلسي : ٢٢١ ، مصطفى الشكعة .
[2] النفح ٥ : ٣٠٨ .
[3] نفسه والصفحة
[4] الاحاطة : ١: ٢٢٧ .

وبهذا تتفوق شاعرات الاندلس على زميلاتهن في الشرق في الافصاح عن مشاعرهن، عفة او مجوناً على الرغم من الهالة الدينية التي كانت الدولة الموحدية تتصف بها.

٢- رثاء المدن الساقطة بيد الافرنج:

ان الظروف السياسية السيئة التي ألمت بالاندلس منذ سقوط الخلافة الاموية وانفراط عقد الرقعة الاندلسية ومن ثم تحولها الى ولاية تابعة لحكام شمال افريقيا في عصري المرابطين والموحدين ادت بالاندلسيين الى حالة من التوجس والتوقع والترقب والخوف المستمر على كيانهم وعلى وجودهم من عدو لايستكين الا بطمس هويتهم وشخصيتهم الدينية في تلك الجزيرة فكانت قصائدهم مميزة في رثاء مدنهم التي كانت تسقط تباعاً كثوب ينسل من اطرافه شيئاً فشيئاً.

أ – قصائد الاستصراخ:

و هي القصائد التي قبلت في اثناء حصار المدن واستقواء النصارى وتتسم بالشدة وتهويل الامر وتجسيم الواقعة واثارة العواطف مصوراً الحالة اليائسة التي المت بهم، وما يتهددهم من الويل والهلاك وطلب الغوث والنجدة بالفاظ جزلة رنانة و قوافي مطلقة ذات جرس مو سيقي فخم موجهة الى احد الامراء والحكام لاثارة حميتهم في الدفاع عنهم مقرونة بمعاني المدح المقترن بالواجب الديني ولنا في ذلك قصائد ورسائل كثيرة في عهد المرابطين عندما سقطت بلنسية لاول مرة وسرقسطة سنة ٥١٢هـ ومدن كتندة وتطيلة وطرسونة وغيرها، وبعد انحسار نفوذ المرابطين منذ ٥٣٩للهجرة سيطرت بعض الشخصيات على مناطق نفوذهم منهم ابن حمشك ووزيره الشاعر ابو جعفر الوقَشي اللذان سيطرا على جيان ومن ثم دخولها في طاعة الموحدين سنة ٥٦٢ للهجرة، وذ هب الوقشي بنفسه الى ملك الموحدين يو سف بن

المؤمن في مراكش ليعلن دخوله في طاعته طالباً العون منه في قصيدة استصراخية جهادية مطلعها: [1]

ألا ليتَ شِعري هل يُمَـدُّ ليّ المدى فأبصـرَ شـملَ المشركـين طريـدا
وهل –بَعدُ – يُقضى بالنصارى بنصرةٍ تغادرهـم للمرهفـات حصـيدا
ويفـتك مِـنْ أيـدي الطُّغـاةِ نواعمـاً تبدَّلْـنَ مِـنْ نظـمِ الحُجـولِ قيـودا
واقبْـلنَ فـي خُشْـنِ المسـوح وطالمـا سَحبْـنَ مِـن الوَشْـيِ الرقيـق بُـرودا
وغبَّـر منـهنَ الـترابُ تَرائبـاً وخـدَّدَ مـنهن الـهجيرُ خـدودا
فـحقَّ لـدمعي أنْ يفـيض لازرقٍ تملّكهـا دُعْـجَ المـدامع سـودا
ويـا لهـفَ نفسـي مـنْ معاصـم طفلـةٍ تجـاورُ بالقـدَّ الأليـم نُهـودا

وانـه يستثير حميـة الخليفـة الموحـدي بمـا حـدث مـن هـوان لنسـاء المسلمين وفتياتهم من تحول زينتهن وخلاخيل ارجلهم الى قيود وذل بعد ان البسوهن ملابس صوف خشنة وصرنَ خادمات يلطخ التراب موضع القلائد النفيسة في صدورهن، وشاحت وجوهن من العمل الشاق في الحر، وسالت دموعهن.... واشتهر الشاعر ابو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن الابار[2] (ت٦٥٨ هـ) صاحب كتاب الحلة السيراء والتكملة بقصائد استغاثية لنصرة بلنسية التي حوصرت من قبل صاحب برشلونة و سقطت سنة ٦٣٦للهجرة وله سينية في سبعة وستين بيتاً ومطلعها: [3].

---

[1] النفح ٤/٤٧٧-٤٧٨ (القصيدة كاملة) .

المدى : العمر ، المرهفات : السيوف ، حصيدا : للدلالة على قطع رؤوسهم كالزرع المحصود ، غبر لطخ بالغبار ، الترائب : موضع القلائدة من اعلى الصدر ، خدد : انحل .

[2] ترجمته : اختصار القدح المعلى : ١٩١ ابن سعيد ، المغرب ٢ : ٣٠٩ ، ابن خلدون ٦ : ٢٨٣ ، فوات الوفيات ٢: ٤٥٠ ابن شاكر ، النفح ٤ : ٤٥٧ ، عصر الدول والطوائف : ٣٨٥ .

[3] النفح ٤ : ٤٥٧-٤٦٠ ، العبر ٦ : ٢٨٣ ، ازهار الرياض ٢ : ٢٠٧ الروض المعطار : ١٠٠ ، الهجير : الحر .

ادركْ بخيلك خيل الله اندلساً ان السبيل الى منجاتها درسا

يا للجزيرة اضحى أهْلها جزراً للحادثات وأمسى جَدُّها تَعِسا

وفي بلنسيةٍ منها وقرطبةٍ ما يَنسفُ النَّفْس أو ما ينزفُ النَّفسا

يا للمساجد عادَتْ للعدا بيعَا وللنِّداء غدا اثناءها جرَسا

طَهِّرْ بلادك منهم إنهم نَجسٌ ولا طهارةَ ما لم نغسِل النَّجسَا

وهي قصيدة مشهورة عارضها كثير من الشعراء موجهة الى صاحب تونس، ويذكر ان اهلها اصبحوا جزراً لسيوف النصارى وان ما حدث لقرطبة تتكرر لما يروع النفوس ويخفق الانفاس، اذ اصبحث المساجد كنائس وغدا الآذان للصلاة اجراساً للنواقيس وان النجاسة ينبغي ان تطهر، ويقال ان ابا زكريا ارسل اسطوله ولكنه لم يتمكن من اغاثتهم لشدة الحصار على بلنسية، كما له نونية يخاطب فيها صديقه ابا المطرف بن عمير، يتذكر ايام الشباب، المتشبث بالاوطان وفيها الندب والبكاء والإسف والحسرة مطلعها: [1].

وطن على الدائبين الدمع والشجن يا نادب الذاهبين: الاصل والوطن

هذا فؤادي كالبرق الخفوق أسى وهذه ادمعي كالعارضِ الهتنِ

براحتي رايةُ الاشجان أحملها وان غدا الجسم وهناً ليس يحملني

وهي في ثلاثة وعشرين بيتاً، امتزج البكاء بالذكريات كما له قصائد اخرى، دالية[2] وعينية فضلاً عن ست مقطعات[3] ولصديقه ابي المطرف بن عميرة (ت٦٥٨هـ) واخرين رسائل وقصائد مماثلة[4].

---

[1] ديوانه ابن الابار : ق١٤٩ .

[2] نفسه : ق٧٧-١٧٠ .

[3] نفسه : ق٥٧ ، ٨٩ ، ١٣٥ ، ١٧١، ١٨٣ ، ١٨٦ .

[4] الروض المعطار : ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، النفح ٤ : ٤٩٣ ، للمزيد ينظر : رثاء المدن والممالك في الشعر الاندلسي ، د. مهجة امين الباشا ، دار شراع ، دمشق ، ٢٠٠٣ .

ب – قصائد الندب والنواح:

بعد واقعة العقاب سنة ٦٠٩ للهجرة، بدأت المدن الاندلسية تتساقط واحدة تلو الاخرى، واخذ الشعراء يرثون مدنهم بقصائد كلها ندب وبكاء وتفجع وزفرات وعويل لما وصلت اليه حالتهم من النكبات والويلات والمصائب، وعدت قصائدهم من ابز معالم الشخصية الاندلسية، لنضج التجربة الفنية والمعاناة التي استمرت عندهم وشهودهم على تلك النكبات على مرأى ومسمعهم وذهاب تلك المدن الى غير رجعة، وتميز الاندلسيون بكثرة نتاجاتهم في هذا الموضوع لاسيما في الحقبة الانتقالية التي سقطت فيها المدن الاندلسية في نهاية حكم الموحدين، ولنا في ذلك قصيدة للشاعر ابن الجَنّان الانصاري (٦٤٨ هـ) في رثاء مدينة " مرسية " التي سقطت سنة ٤٦١ للهجرة وهي فائية قالها في رثاء أبيه ومزجها برثاء مسقط رأسه ومرتع شبابه قائلاً [١].

ويا لمرسية الغراء من بلدٍ اضحى منيراً وامسى نورُهُ خُسِفا
ويا لجامعها الاعلى لقد وَضَعتْ منه مجاورة التثليث ما شرفا
إذ كنتُ أشهد اطراف النهار به مع المصلي وليلاً اشهد الزُلفا
جاورتُ منه جماناً كان مجتمعا لبهجة الدين والدنيا ومؤتلفا
فاذا رايتُ اموراً كلها تلف فررتُ لله كما آمن التلفا

فهو يدعو الى الرحيل والفرار.

ولابن سهل الاشبيلي (ت٦٤٩هـ) قصيدتان[٢] في رثاء اشبيلية التي سقطت سنة ٦٤٥للهجرة، ومما قاله:

يا سائلي عن مصاب المسلمين بها اصخ لتسمع امراً يورث الصمما

---

[١] ديوان ابن الجنان : ٢٧ ، جمع د. منجد مصطفى بهجت ، جامعة الموصل .
[٢] ديوان ابن سهل : ١٤١: ١٤٢ ، تحق : د. فاروق الطباع .

لمـــا تفرقـــت الاهـــواء واضـــطرمتْ نـــارُ البغـــاة فقامـــتْ للـــردى علمـــا

يـــا حســـرة الـــدين والـــدنيا لانـــدلس مهمـــا اســـتطال بهـــا التثليـــث واجترمـــا

وتعد قصيدة ابي البقاء الرُّندى (٦٨٤هـ) من اكثر قصائد الرثاء شهرة اذ بكى فيها ضياع المدن الاندلسية الكبرى، والقصيدة ذات ملامح متميزة بما تحمله من تأكيد و صور وذكر الا مم القديمة الفاذية، و قد ترجمت الى الالمانية والا سبانية، وأعتقد بعضهم ان لهذه القصيدة اثرا في ظهور الاغنيات الاسبانية ذات الفواصل بما فيها من توافق واشتراك في الرؤية الفكرية امام الموت والوجود[1]، والقصيدة مشابهة لرائية ابن عبدون في رثاء دولة بني الافطس، و اخذت الاجيال التالية تزيد عليا ابياتاً تندب بها البلاد التي سقطت فيما بعد، والقصيدة في رثاء الاندلس وانشدها

في جامع القيروان في تونس اثر تنازل ابن الاحمر – سلطان غرناطة عن عدد كبير من القواعد والحصون لملك قشتالة سنة ٦٦٥ هـ.

قائلاً:

لكـــل شـــيء اذا مـــا تـــم نقـــصان فـــلا يغـــر بطيـــب العـــيش إنســـان

هـــي الامـــور كمـــا شـــاهدتها دول مـــن ســـره زمـــن ســـاءته أزمـــان

وهـــذه الـــدار لا تبـــقي علـــى احـــد ولا يـــدوم علـــى حـــال لهـــا شـــان

يمـــزق الـــدهر حتمـــا كـــل ســـابغة اذا نبـــت مشـــرفيات وخرصـــان

وينتضـــى كـــل ســـيف للفنـــاء ولـــو كـــان ابـــن ذي يـــزن والغمـــد غـــمدانُ

ايـــن الملـــوك ذوو التيجـــان مـــن يمـــن وايـــن مـــنهم أكاليـــل وتيجـــان

وايـــن مـــا شـــاده شـــداد فـــي ارم وايـــن مـــا ساسَـــه فـــي الفـــرس ساســـان

وقوله:

---

[1] الادب الاندلسي : ١٤٥ ، ماريا خيسوس .

وايــن قرطبــة دار العــلوم، فكــم مــن عــالم قــد ســما فيهــا لــه شــان
وايــن حمــص ومــا تحويــه مــن نــزه ونهرهــا العــذب فيــاض ومــلان
قواعــد كــن اركــان الــبلاد فمــا عســى البقــاء اذا لــم تبــق اركــان

وفي اهلها يقول:

بــالامس كــانوا ملوكــا فــي منــازلهم واليــوم هــم فــي بــلاد الكفــر عبــدان
فلــو تــراهم حيــارى لا دلــيل لهــم علــيهم مــن ثــياب الــذل ألــوان
ولــو رأيــتَ بــكاهم عنــد بــيعهم لهالــك الامــر واســتهوتك احــزان
يــا رب أمٍ وطــفلٍ حيــل بينهمــا كمــا تــفرق ارواح وابــدان
وطفلــةُ حســن الشــمس اذ طلعــت كأنــما هــي يــاقوت ومرجــان
يقودهــا العلــج للمكــروه مكرهــة والعــين باكيــة والقلــب حيــران
لمثــل هــذا يــذوب القلــب مــن كمــد إن كــان فــي القلــب إسلام وايمــانُ[1]

والقصيدة مغلفة بنبرة حزن كئيب ونغمة اتعاظ واعتبار وبكاء المدن الاندلسية الرئيسة وافول نجم الاندلس وخلوها من الاسلام والتعزي بالماضي في ذكر امثال من الدول والملوك العظام، ويذكر ما حصل لاهل الاندلس من ضياع وتشريد وبيع والمسلمون من وراء البحر شهود، وتتميز بقوة السبك وجودة البناء الفني وصدق الاحساس وحسن اختيار القافية التي اضفت على الجو العام للقصيدة مسحة حزينة فيها مرارة وحسرة، كما ان هنالك قصيدة اخرى تقاسمت الشهرة مع هذه القصيدة وهي قصيدة حازم القرطاجني (ت٦٨٤ هـ) التي شرحها ابو القاسم محمد بن احمد القاضي المشهور بالشريف الغرناطي وسمي شرحه " رقع الحجب المشهورة في

[1] ابو البقاء الرندي : ١٣٤-١٤٠ ، د. رضوان الداية ، بيروت ، النفح ٤ : ٤٨٧ ، ازهار الرياض ١ : ٤٧ .

محاسن المقصورة " [1] والقرطاجني صاحب الكتاب المشهور "منهاج البلغاء و سراج الادباء "، الذي رحل الى تونس، ومن هناك راودته الذكريات لوطنه الاصلي الذي فقده الى الابد، فكتب قصيدته المشهورة باسم " المقصورة " على وزن الرجز وتحوي وصفاً دقيقاً لاقليم مرسية[2]

وقسمت إحدى الباحثات هذا الموضوع الى اتجاهات: -

أ – **الاتجاهات الايجابية:** استنهاض الهمم والدعوة الى المقاومة والحض على الجهاد والوعظ والنصح والنقد والسياسي والاستغاثة، ومدح المستغاث به واثارة النزعة الدينية والانسانية والعصبية العربية.

ب- **الاتجاهات السلبية:** التشاؤم والاستسلام وظاهرة الشكوى والبكاء والاستسلام للقضاء والقدر اضافة الى الحكمة والوعظ وصروف الدهر والعبرة من مصير الامم السابقة [3].

التصوف:

إنه شوق الروح الى الله، إنه الحب الالهي المطلق المجرد من المنافع والغايات المادية[4] ويقول سهل بن عبد الله التستري " التصوف قلة الطعام والسكون الى الله والفرار من الناس "[5] وهو المجاهدة بالنفس وترك كل حظ لها لان النفس في نظر الصوفية مصدر الشر ومجاهدة النفس تعني محاربتها ومخالفتها والعزوف عن مباهج الحياة والتعود على الخشونة وكبح جماع الشهوات وذلك باصلاح قوة الشهوة التي تؤدي الى العفة واصلاح قوة الحمية التي تحصل الشجاعة فيحترز من

---

[1] كتاب " رفع الحجب المنورة في محاسن المقصورة ، الشريف الغرناطي ، مط السعادة ، مصر ، ١٣٤٤ هـ في جزئين .

[2] ازهار الرياض ٣ : ١٧٢ ، القدح المعلي : ٢٠-٢١ ، بغية الوعاة : ١ : ٤٩١ ، النفح ٣ : ٣٤١ ، مقدمة كتاب : منهاج البلغاء وسراج الادباء ، تحقيق : ابن الخوجة ، دار الكتب ، تونس.

[3] رثاء المدن والممالك في الشعر الاندلس : ١٨١-٢٧٠ . د.مهجة الباشا

[4] الرمزية في الادب العربي : ٢٢٧ ، د. درويش الجندي ، نهضة مصر ، ١٩٥٨ .

[5] التصوف الثورة الروحية في الاسلام : ٢٨ أبو العلا عفيفي ، دار الشعب ، بيروت .

الجبن والتهور والحسد... واصلاح قوة الفكر التي تؤدي الى الحكمة[1] والتصوف متعلق بالروح والقلب والحب الالهي الى حد العشق ويختلف عن التزهد الذي يتعلق بامور دنيوية في القناعة بالقليل في سبيل الله، وربما يكون الزهد اولى مراحل التصوف.

واختلف الباحثون في اصل كلمة " التصوف " ومنهم من رأى انه من الصفو والصفاء، لصفاء علاقتهم بالله تعالى وصفاء قلوبهم، وقيل من الصفة واهلها زهاد المهاجرين والانصار في المسجد النبوي، وقيل من الكلمة اليونانية "صوفيا " اله الحكمة وقيل من الصوف الذي كانوا يلبسونه... [2].

وللصوفية جذور مشتركة بين الاديان المختلفة لاسيما المسيحية وما فيها من الرهبة والافلاطونية الحديثة، وعرف الاندلس التصوف على يد ابن مسرة (ت٣١٩هـ) وكان يجمع في عقيدته بين التصوف وبين اراء المعتزلة واصبح مدرسة لها تلاميذها، ومن بينهم ابو عمر بن يحيى بن عيسى الالبيري (ت٤٢٩هـ) [3] الذي له رسالة الى بعض اخوانه وفيها نزعة صوفية قوله: [4].

شربتُ بكأس الحبِ من جوهَرِ الحبِ رحيقاً بكف العقلِ في روضةِ الحبِ

وخامرَ ماء الروحِ فاهتزتْ القُوى قوى النفسِ شوقاً وارتياحاً الى الرَّبِّ

ونادى حثيثا بالأنين حنينُها إلهي إلهي مَنْ لعبدك بالقربِ

وخاطبه وحيا اليه مليكه: سأكشف – يا عبدي – لَعينك – عن حجبي

فأعلن بالتسبيح: مثلك لم أجد تعاليتَ عن كفءٍ يكافيك أو صَحبِ

---

[1] نفسه : ٤٢ .
[2] الادب الاندلسي : ١٤٠ ، منجد .
[3] تاريخ علماء الاندلس : رقم ١٢٠٢ ، ابن الفرضي ، المغرب ٢: ٩٥ ، الصلة : ٨٩ .
[4] الذخيرة ٢/١ : ٤٧ .

ويقول انه شرب بكأس الحب في روضة الحب الالهي رحيقاً مصفى بجوهر الحب الذي امتزج بروحه، فحنت روحه الى مشاهدة ربه، وتجلى الله رافعاً ما بينه وبين عبده مِن حجب، فسبح بحمده منزها له ان يكون له كفء او صحب، وهذه المقطعة تحوي بين طياتها كثيرا من المصطلحات الصوفية مثل الشرب او السكر الالهي والحب الالهي الممتزج بالروح، وزوال الحجب بين العبد وربه.ويليه بعده ابن العريف (ت٥٣٦ هـ) [١] الذي ولد في المرية مركز التصوف في الاندلس، صاحب كتاب " محاسن المجالس "[٢] وطريقته تقوم على الزهد في كل ما عدا الله ومحبته والفناء فيه، ومن شعره [٣] في الحب الالهي:

سَلُوا عن الشوقِ مَنْ أَهْوي فإنَّهُمُ أَدنى الى النَّفسِ مِنْ وهمي ومنْ نَفسي

مازلتُ – مذ سكنوا قلبي – أصون لهم لحظي وسمعي ونُطقي إذ هُم أُنِسي

والقصائد الصوفيه ذات ملامح وصفات تتميز عن غيرها من الفنون الشعرية منها:

١- استعمال الفاظ ومعان صوفية واصطلاحات خاصة بكلام المتصوفة تجعلها في كثير من الاحيان غامضة مبهمة لا يمكن الكشف عن مدلولاتها لذلك اتهموا بالشطح.
٢- استعمال الرمز والابتعاد عن الظاهرية، واعطاء مدلولات جديدة للالفاظ فيما يمكن تسميته بالانزياح الدلالي.
٣- قصائدهم فيها الشوق والوجد والغزل في ظاهرها والقصد عبادة وهيام بالذات الالهية.

---

[١] ترجمته وشعره : الصلة : ٨٤ ، البغية : ١٥٤ ، المطرب : ٩٠ ، المغرب ٢ : ٢١١ ، النفح ٣ : ٢٢٩ ، ٤ : ٣٣١ ، دراسات اندلسية في الادب والتاريخ والادب ، د. الطاهر مكي ، دار المعارف ، عصر الدول والامارات : ٣٦١ .
[٢] محاسن المجالس : تحقيق : اسين بلاثيوس ، مدريد ، ١٩٣١ .
[٣] عصر الدول والامارات : ٣٦٢ .

٤- الحديث عن الخمر والمدامة والكأس والساقي رامزة الى نشوة الايمان وخمر الفناء برب العالمين.

٥- الكناية عن الله تعالى بالانثى او الحيوان.

ويعد محيي الدين بن عربي (٦٣٨هـ) شيخ المتصوفة وقطبها وواضع منهجها في الاندلس الذي اعتمد في مذهبه على وحدة الوجود في الاعتقاد ان الله والعالم شيء واحد يختلفان في الصورة فقط ولا يختلفان في الحقيقة متأثراً بالأفلاطونية الحديثة وبالمذاهب المسيحية، في ان الله يتجلى في كل شيء، وان الحقيقة الوجدانية واحدة في جوهرها وذاتها لا تتغير وان تغيرت صورتها يقول ابن عربي في ذلك[١].

فالكل حق والكل خلق وكل ما تشهدون حق[٢]

يحوي على الأمر من قريب وما له في اللسان نطق

فكل شيء تراه حق وكله في الوجود صدق

ويعتقد بنظرية الحب التي تصل عنده الى حد التقديس في حب كل شيء، وان يجعل الاسلام دينا دعامته الحب، وان المتصوفة يقولون إن سر خلق العالم يكمن في حرفين (ح، ب) وان المحبة مرادفة للدين من دون تمييز بين الاديان والانبياء والجنس يقول ابن عربي:- [٣]

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان وديرا لرهبان

وبيتا لاوثان وكعبة طائف والواح توراة ومصحف قرآن

---

[١] الفتوحات المكية : ملحق ، ج١ : ٨٩٩ ، محي الدين بن عربي ، والطباعة ، مصر .

[٢] الحق : هو الله متجلياً في صور الاشياء مشهوداً في اعين الخلق ، والعالم للحق كالجسم للروح ، العقل الصوفي : ٧٤ ، د .علي شلق ، دار المدى ، بيروت ، ١٩٨٥ ، الخلق : عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الافعال ، كتاب التعريفات : ٤٥ . الجرجاني ، مط الجزية ، مصر .

[٣] ذخائر الاعلاق ، شرح ترجمان الاشواق ، تحقيق : محمد عبد الرحمن الكردي ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

اديــن بــدين الحــب أنــى توجهــت ركائبــه، الــدين دينــي وايمــاني

وفي العشق الالهي له قصائد في ظاهرها غزلية بصف فيها جمال محبوبته ودارها وإطلالها وحرقة فؤاده وفتور أجفانه كأنـه شاعر من شعراء الغزل العذري قائلاً: [1]

مَرضــي مِــنْ مريضــة الاجفــان عــلّلاني بــذكرها علّلانــي

بــابي طفلــةٌ لعــوبٌ تــهادى مــن بنــات الخــدور بــين الغــواني

طلعــتْ فــي العِيــان شمســا فلّمــا أفَلَــتْ أشــرقَتْ بــأفقِ جنــاني

بــأبي ثــم بــيّ غــزال ربيــب يَرتعــي بيــن أضــلعي فــي أمــان

وهو محب موجع القلب ساهرة الاجفان، لا يرجى له شفاء لما وقع في قلبه حب فتاة كأنها طفلة لعوب ظهرت بين الغواني الجميلات، وانها شمس ملأت الدنيا واستقر حبها في قلبه، وانها غزال مصون يرعى بين اضلعه في قلبه.

و من الشعراء الآخرين ابو الحسن علي بن محمد الرعيني (ت٦٦٦ هـ) له قصيدتان يصور مشاعره وهيامه وفناءَه بالفاظ تحمل معاني الحب والغرام والخمر، قائلا: [2]

هيــامي بــين الجــوانح ثــائر وداء غرامــي للفــؤاد مخــامرِ

وقـد جـد بـيَّ وجـد وبـرح بـيّ جـوى وغصــتْ بأســراب الــدموع المحــاجر

ســكرت ومــا دارت علــيّ مدامــة ولا فتــنت عقلــي عيــون فــواتر

والششترى (ت ٦٦٨ هـ) [1] و ابن سبعين (ت ٦٦٩ هـ) [1]، وابن عباد الرُّندي (ت٧٩١) [1] وابن الجياب (ت٧٤٩هـ) الذي اشتهر بقصائد الخمرية الصوفية[1].

---

[1] عصر الدول والإمارات : ٣٦٥ .

[2] الرسالة القشيرية : ٤٠ ، القشيري ، ط بولاق ، ١٢٨٤هـ .

هـات اسـقني صـــرفاً بغيـر مـزاج راحـــى التـي هـي راحتـي وعلاجـي
إن صـــبّ فـــي الـــزجاجة قطـــرة شفـــت الزجـاج عـن السـنا الوهـاج
وإذا الخليـــع أصـــاب منهـــا جرعـــة ناجـــاه بالـــحق المبـــين منـــاجي

ومـن موضـوعاتهم الاخـرى: تـوارد الخـواطر، والاتحـاد والحلـول، ووحـدة الشهود، والفناء والبقاء.

---

[1] في ترجمته وأشعاره ينظر : النفح ٢ : ١٨٥ ، ٢٠٥ ، الإحاطة ٤ : ٢٠٥ ، الرسائل الكبرى لابن عباد الرندي : ٩٧ ، وديوانه بتحقيق د. علي النشار ، الاسكندرية وعصر الدول والامارات : ٣٦٧ .

[2] ترجمـة ابـن سـبعين : الـنفح ٢ : ١٩٦ ، شـذرات الـذهب ٥ : ٣٢٩ ، فـوات الوفيـات ١ : ٥١٦ ، البداية والنهاية ١٣ : ٢٦١ ، لسان الميزان ٣ : ٣٩٢ ، وكتاب : ابن سبعين وفلسفته الصوفية ، د. أبي الوفا التفتازاني ، عصر الدول والامارات : ٣٥٩ .

[3] للمزيد ينظر : تاريخ الفكر الاندلسي : ٣٧١-٣٩٠ ، انخل جنثالث بالنثيا ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

[4] الادب الاندلسي : ١٣٤ ، ماريا خيسوس .

أهم شعراء عصر الموحدين

١- ابن سهل الاشبيلي:

هو ابراهيم بن ابي العيش بن سهل، ولد في اشبيلية في جو مفعم بالتقلبات والظروف السياسية المضطربة، وعلى ارجح الروايات في ٦٠٩ للهجرة وهي السنة التي اقترنت بوقعة العقاب، حصل على ثقافته العربية والاسلامية في المساجد وحلقات العلم، وتعلم اللغة والنحو والادب وكان يتميز بقوة الذاكرة وحفظ كثير من الأبيات وسرعة الارتجال " فكان اسرع الناس ارتجالاً وأوسعهم في ما يريد قريحته على السرعة في الارتجال "[١] وكانت له صلات اجتماعية بابرز ادباء عصره امثال ابن سعيد المغربي، صاحب كتاب "المغرب في حلى المغرب "وكانت له صداقة قوية معه، وعندما افترقا، ظلت المراسلات قائمة بينهما[٢].

خفقَ النهرُ بحمصٍ بعدما بنتَ والطيرُ بَدَتْ منها شجون

والليالي بعدما كنّا بها في نهارٍ ألبسَتْ داجي الدجون

وكانت لبيئته الجميلة ومناظرها الفاتنة ومنتزهاتها الكثيرة والوجوه الفتانة في اشبيلية اثر في صقل ذوقه الجمالي والغريب انه اخذ يلتفت الى جمال الغلمان اكثر من جمال المرأة.

لقب بألقاب كثيرة منها إسرائيلي لان اباه كان يهودياً واسلم، واختلف الكتاب في صدق اسلامية الشاعر ولاسيما في فترة شبابه في اشبيلية عندما اكثر من الغزل بغلام اسمه موسى مازجاً حديثه بين موسى الغلام وموسى النبي (عليه السلام) واذا كان اسمه في الظاهر او الباطن ولكن صديقه ابا البقاء الرندي، اعلن حسن اسلامه ولقبه بالاسلامي، وقبيل سقوط اشبيلية سنة ٦٤٥ ترك المدينة واتجه الى منورقة من الجزر الشرقية في البحر المتوسط وكان حاكمها ابو عثمان سعيد بن حكم الذي حكم

---

[١] ديوانه : المقدمة .

[٢] ديوانه : ٤٧ ، دفاتر اندلسية : ٤٣٢ .

الجزيرة لمدة خمسين سنة (٦٣١-٦٨٠هـ) وكانت منورقة موطناً قصده الادباء، وفي ديوانه قصائد كثيرة في مدحه، وبعد ذلك رحل الى سبتة في شمال افريقيا وعمل عند حاكمها ابي علي بن خلاص واصبح له شأن كبير عنده، وارسله في سفارة دبلوماسية الى حاكم تونس ومات غرقاً في اليم سنة ٦٤٩ للهجرة[١].

ديوانــه: عرف ديوانه منذ عهد مبكر، فقد طبع طبعتان حجريتان وطبعة حديثة بتحقيق احسان عباس سنة ١٩٦٧ واخرى بتحقيق محمد قوبعة بعد ان استدرك عليه ٤٦ قصيدة ومقطعة في (٤٥٣) بيتاً واصبح مجموع ابياته (٣٤٠٧) بيتاً ومن ثم حققه د. عمر فاروق الطباع سنة ١٩٩٨ ولم يحو اشعاره كله.

أغراضه الشعرية: اكثرالشاعر النظم في موضوعين وقد الفا نسبة ٧٧% من ديوانه وهما الغزل والمديح، فقد احتل الغزل نسبة ٥٧% و ٢٠% المديح وقصائد ومقطعات في الرثاء والهجاء ووصف الطبيعة والمراسلات الاخوانية ويمكن تقسيم حياته الى حياة لاهية عندما كان في اشبيلية ومعظم قصائده الغزلية لاسيما في غلام سماه موسى قيلت في هذه المرحلة والشكوك حول صحة اسلامه تأتي من هذه القصائد التي قالها في مرحلة المراهقة والشباب، بينما قصائده المدحية تمثل حياته الجادة عندما وصل الى درجة الوزارة في بلاط ابن خلاص في سبته وتظهر حميته وإخلاصة للدين في موشحاته النبوية وقصائد المدحية التي تبلغ خمساً وثلاثين قصيدة منها قصيدته التي

قالها في مدح ابن خلاص ويحثه على مساعدة اشبيلية[٢].

اهـدى التلاقـي صـبحَ وجهـك مسـفراً فحمـدتُ عنـد الصـبح عاقبـة السُّـرى

الله اكــبر قــد رأيــت بــك الــذي يلقــــاه كــل مكــبر ان كبــرا

يــا أهــل سبتــة اشكــروا اثــاره ان المواهــب قَيــدُها ان تُشــكرا

---

[١] مقدمة ديوانه ابن سهل الاشبيلي ، تحقيق د. عمر فاروق الطباع ، دار الارقم بن ابي الارقم ، بيروت ، ١٩٩٨ .

[٢] ديوانه / ق : ٤ .

هــو فـــوقكم للأمـــن ظـــل ســـابغٌ لـــــو أن ظـــلاً قـــد اضـــاء ونـــورا
يـــا رحمـــــةً بـــالغرب شـــاملةً بـــدتْ فيـــه اعـــــم مـــن النهـــار واشـــهرا
حمـــص التـــي تـــدعوك، جهـــز دعـــوة لغيـــــاثها إنْ لـــم تجهـــز عســـكرا[1]

اما قصائده الغزلية فمعظمها شاذة في غلام اسمه " موسى " واسماء اخرى قيل انها رموز للشخص نفسه، والغريب ان غزله عذري بدوي، اودع الحب في نقائه الطبيعي وشحنه بالدموع والذلة والعبودية فيما يشبه بالرومانتيكية الحديثة في العاطفة المفرطة واليأس والتلذذ بالألم، وقد احس القدماء في ذلك وقالوا ان سببه يرجع الى " أنـه اجتمـع عنـده ذلاّن:ذل العشـق وذل اليهوديـة "[2] وكـان يسـتعين بـروح البادية واسلوبها في تصوير الوجد على خلاف الطبيعة الاندلسية وتمدنها: [3]

فمـــا وَجُـــــدَ أعرابيـــةٍ بـــان دارُهـــا فـــحنَّتْ الـــى بـــانِ الحجـــازِ ورَنـــدهِ
اذا أنســـتْ ركبـــــاً تكفّـــلَ شَـــوقُها بنـــــــارِ قِـــراهُ والـــدموعِ بـــوردِهِ
وانْ اقـــدَ المصـــــباحُ ظنَّتْـــهُ بارقـــاً يُحـــــــيي فهشّـــــت للســـــلامِ وَرَدّهِ
بـــاعظم مِـــنْ وجـــدي بموســـى وانمـــا يـــــرى أننـــي أذنبـــتُ ذنبـــاً بـــودِّه

وانه الحمَ صورة موسى الغلام مع قصة الذبي موسى وتناوله في كلامه على أنـه محبوبـه موسـى لابـراز المعنـى وربمـا مـن خـلال هـذا الاسـلوب اراد التبشـير باليهودية شعراً وذكر بمعجزات موسى أبي الشريعة، فطار شعره على كل لسان لذلك كان الناس يشكون في اسلامه ومن ذلك قوله في مراضع موسى: [4].

مراضـــعُ موســـى او وصـــال ســـمّية نظيـــــرانِ فـــي التحـــريم يشـــتبهانِ

---

[1] حمص : اشبيلية .
[2] النفح ٢ : ٣٥١ .
[3] ديوانه : ق : ٢٩ ، النفح ٢: ٣٥١ .
[4] ديوانه : ق : ١١٨ .

ومن ذلك حديثه عن هاروت وهارون وشعيب والعصا وشق البحر... كما انه اتكأ على قصص قرآنية وأورد نصوصاً منها حتى ان بعضهم قال " وكان باشبيلية ابراهيم بن سهل اليهودي الشاعر، يضمن شعره آيات القرآن محرّفة عما انزلت فيه، فلم يُذكر أنّ احداً غيرّ عليه في ذلك، وكان من دواعي خراب اشبيلية، هذا كله وما شابه حرام إطلاقه[١] ومن ذلك

تبــتْ يــدا عــاذلي فيــه ووجنتُــه حمّالــةُ الــورد لا حمّالــة الحطــبِ

أو قوله:

حســنه يتلــو " الضــحى " مبتســما وهــو مــن اعراضــه فــي " عَـبسَ "[٢]

وله قصائد فيه اقتباس مباشر من القرآن الكريم والذي لا يجوز مطلقاً خاصة في الموضوعات اللاهية لاسيما الغزل الشاد مثل قوله مقتبساً من سورة " مريم "[٣].

لســتُ انــس الاحبــابَ مــا دمــتُ حيّــا ولعــــمري نــــأوا مكانــــاً قصــــيا

وتلــــو آيــــة الــــوداع فخــــروا خيفــــة البيــــن ســــجداً وبكيــــا

وأنــاجي الآلــه مــن فــرط حبــي كمــــــناجاة عبــــــده زكــــــريا

وهــن العظــم بالبعــاد فــهب لــي رب بالقــــرب مِــنْ لــدنك وليــا

واســتجب ســيدي دعــائي فــإني لــم اكــن بــدعائك ربــي شــقيا

وقد ركز في غزله على العيون والالحاظ وتأثيرها على العاشق وعلى تشابك الحواس في التداخل بين السمع والبصر، وعلى الطبيعة وتشبيهاتها[٤].

---

[١] الادب الاندلسي : ٢٠٥ ، منجد .

[٢] ديوانه : ١٠ ، ديوانه : م : ١ .

[٣] اشعار لابن سهل رقم (٤٥) حوليات الجامعة التونسية العدد ١٩ ، ص١٤١ ، ولم نجدها في الديوان .

[٤] للتفاصيل ينظر: دفاتر اندلسية : ٤٣٨-٤٤٧ .

وفي أواخر عمره كتب قصائد تدل على هدايته وحبه لشريعة الاسلام على نحو ما نجده في عينيته التي مطلعها: [١].

تنـــازعي الآمـــال كهـــلا ويافـــــعاً ويسعـــــدني التعليـل لـو كـان نافعـاً

ومـا اعتنـق العليـا سـوى مُفـردٍ سـرى لهـول الفـلا والشـوق، والسَّـوق رابعـا

وفيها يصف رحلة الحجيج الى بيت الله الحرام والمسجد النبوي، وقد حظيت القصيدة بعناية المتأخرين وقد خمس من قبل الشعراء واعجب بها القدماء وقال ابو حيان "هي من ابدع ما نظم في معناها "[٢].

كما له مخمسة مطلعها: [٣].

جعل المهيمن حب أحمد شيمة

وأتى به في المرسلين كريمة

فغذا هواه على القلوب تميمة

وغـــدا هـــداه لهـــديهم تتميمـــا صـــــلوا عليـــــه وســـــلموا تســـــليما

واشتهر ابن سهل بالموشحات واكثر الـنظم منها وقد ذاعت موشحته التي مطلعها: [٤]

هـل درى ظبـيُ الحِمـى أن قـد حَمـى قَلـــبَ صـــــبٍّ حلّـــه عـــن مَكـــنسِ

فهـــو فـــي حـــرٍ وخفـــــقٍ مثلمـــا لـــــــعبتْ ريـــح الصَّـــبا بـــالقبس

يـــا بـــدوراً أطلَعـــتْ يـــومَ النّـــوى غُـــررَا تســـلك بـــيّ نهـــج الغـــرر

مـــا لنفســـي وحـــــدها ذَنـــبٌ ســـوى مـــنكم الحُســـنُ ومـــن عينـــي النظـــر

---

[١] الديوان " ق : ٦٩ .
[٢] النفح ٣ : ٥٢٦ .
[٣] النفح ٧ : ٤٤٥-٤٤٨ لم تجدها في الديوان .
[٤] ديوانه ، موشحة رقم (١) .

اجتنـــي اللـــذّات مكـــلومَ الجـــوى والتـــــذاذي مـــن حبيبـــي بـــالفكرِ

* * * *

ولشهرتها شرحت وعورضت من قبل الشعراء، منها موشحة لسان الدين ابن الخطيب.

جـــادك الغيـــث اذا الغيـــث همـــى يـــا زمـــــان الوصـــل بالانـــدلس

لـــم يكـــن وصـــلُك إلا حُلُمـــا فـــي الكـــرى أو خلســـة المختـــلس

وموشحاته وضعت اصلاً للغناء، وهو متفنن في اظهار تنويع النغمات المتباعدة وخرجات باللهجة العامية والجمع بين الصنعة الدقيقة والسهولة التعبيرية.

ومن الشعراء الآخرين: -

ابن مجبر الموحدي (ت٥٥٨ هـ) [١] والاصم المرواني وابن صاحب الصلاة صاحب كتاب المن بالامامة وابن السيد الاشبيلي (اللص) و.

ابن جنان الانصاري (ت٦٥٠هـ)

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن احمد الانصاري، عاش في نهاية عصر الموحدين، وهو من مدينة مرسية التي هجر ها سنة ٦٤٠ للهجرة بعد اشتداد هجمات الاسبان عليها.

هجـرتُ داري واحبـابي ومـن شـيمي وصـل المهـاجر أمّـا خـانني وجفـا [٢]

---

[١] ابو بكر ابن مجبر ، شاعر المديح الذي عاصر ابن مردنيش في بداية الموحدين ، جمع شعره ودرسه د. يوسف عيد بعنوان " ديوان بحتري الاندلس " دار الفكر العربي ، بيروت ، ٢٠٠٢ .

[٢] ديوانه : ق : ٣٤ ، ٢٤ ، ٢٩ .

تفاعل مع احداث عصره، فانحاز الى ابن هود الملقب بالمتوكل على الله الذي ثار بالاندلس على الموحدين بعد سلسلة هزائم لحقت بهم، وكانت مدينة مرسية اول مدينة تخضع لحكمه سنة ٦٢٣هـ، وخاطبه بقصائد مدحية منها [١].

لله درك مـــــــن همـــــــام علامـــــــة هـــــادٍ إمـــــام
متمـــــــــيز بمـــــــــآثر بـــــين الانـــــام علـــــى الأنـــــام
هـــــــو منـــــــهم لكنـــــــه ايـــــن النَّضُـــــار مـــــن الرغـــــام

وقوله:

ذو عـــــــروةٍ آمنـــــتْ قـــــوى مـــــن الانفصـــــال والانفصـــــام
ذو حجـــــــــةٍ وبلاغـــــــة وفصـــــول انـــــواع الكـــــلام
يـــــا كـــــوثراً يلقـــــي العفـــــا ة بالابتهـــــــاج والابتـــــــسام
واعـــــــد مســـــــعاه الـــــــى يـــــــوم القيامـــــــة والقيـــــام

وبعد سقوط مرسية سنة ٦٤١ هـ بكاها الشاعر وغادرها الى اوريولة ثم الى سبتة على البر الافريقي عند ابي علي بن خلاص ثم يرحل الى تونس ويستقر في " ببجاية " الى ان توفى سنة ٦٥٠ للهجرة[٢].

ديوانه وموضوعات شعره: لا يوجد له ديوان وقام د. منجد مصطفى بهجت بجمع اشعاره ووقع في الف وأربعمائة بيت واشتهر بقصائد المدح النبوي، وقسم محقق ديوانه اشعاره الى الالهيات والنبويات والاخويات والرثاء اضافة الى المديح، ونصف ديوانه في النبويات والحجازيات والمناسبات الدينـية ومن قصائده في وصف ركب الحجيج[٣].

---

[١] الادب الاندلسي : ٢٠٩-٢٢٠ ، منجد .
[٢] الاحاطة ٢ : ٣٥٩ .
[٣] ق : ١٣ .

يـا حـادي الركـبَ قـف بـالله ياحـادي وارحـــم صـــبابة ذي نـــأي وأبعـــاد
مـــا ينبغـــي عنـــك ألا ان تصيـــخ لـــه سمعـــاً ليســـأل عمـــن حـــلّ بـــالوادي
بـــين الجـــوانح نـــار للـــجوى وقـــدت فـــان قـــدرت فأخمـــد بعـــض اخمـــاد

وله قصائد في الذات الإلهية وألائه ونعمه وفي رمضان وفي طاعة ليلة القدر، كما ان له قصائد معارضة لقصائد غزلية مشهورة كقصيدة علي بن جهم وتغيير موضوعها من الغزل الى الحب الالهي التي يبلغ عدد أبياتها ستة وأربعين بيتاً وتدور قصيدة ابن الجهم حول محبوبه وسماع حديث "ظلوم "وجارتها ومحادثتها ووصلها على الرغم من كبر سنه وشيبه ومطلعها [1].

عيـون المهـا بـين الرصـافة والـجسر جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

وفي كبح جماح نفسه وزجرها وقد بلغ به العمر يقول:

كفـى بـالهوى غيـاً وبالشـيب زاجـرا لـو أن الهـوى ممـا ينهنـه بـالزجر

ويعارضها ابن الجنان بقصيدة على وزنها ورويها في اثنين وستين بيتاً، وخص القسم الغزلي منها بثلاثين بيتاً ومطلعها:

عيـــون النهـــى بـــين التـــدبر والفـــكر جلبن الهدى من حيث ادري ولا ادري[2]

وفي الذات الالهية يقول:

ولاح ســـــنا مهمـــا تبـــدي لنـــاظر تـــوارى سنـــا الشـــمس المنيـــرة والبـــدر
فَـــــهمْتُ بمحبـــوب فهـــمتُ كمالـــه فلـــــم يلتفـــت إلا لحضـــرته ســـرى
لـــه المثـــل الاعـــلى فـــلا نَـــد مشـــبه ولا مثـــل فـــي فضـــل تســـامى عـــن الحصـــر
قريـــب مجيـــب ظـــاهر وهـــو بـــاطن وجـــل جـــلال عـــن حجـــاب وعـــن ســـتر

[1] ديوان علي بن جهم : ٢٥٢ ، تحقيق خليل مردم .
[2] ديوانه : ق : ٧

مختتماً.

نهى النفسُ عما تشتهيه وصدّ عن " عيون المها بين الرصافة والجسر "

وشعره يصدر عن رجل صالح تقي قلباً وفعلاً، و هو يحمد ربه، ويستسلم له حتى اذا نزلت به مصيبة او عسر[١].

سأصبر حتى ينجز اللهُ وعدَه ولا بدّ للرحمن أن ينجز الوعدا

وما زال لطف الله يفرج أزمةً اذا استصعبت عقدا أو استحكمت شدا

وفي الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول: [٢].

صلوا على هذا النبي فأنه لم يزل بالمؤمنين رحيما

يا أيها الراجون منه شفاعة صلوا عليه وسلموا تسليما

وله مخمسة يكرر عبارة "صلوا عليه وسلموا تسليما " كل اربعة اشطار[٣]

وتحتل الرسائل الاخوية والمجاوبات الشعرية قسماً من ديوانه لاسيما مع صديقه ابن المرابط في سبع قصائد في اثنين وخمسين بيتاً كان علاقتهما قوية فتفرقا بعد سقوط مدينتهما وله في مناسبة العيد قوله: [٤].

دنا العيدُ ليت العيد لم يدنُ وقتُه فقد هاج لي وجداً وزاد غراما

فمن لي بأعياد تعيد مسرتي بمغنى، به خط الجلال حماما

وتتميز قصائده بالسهولة والتطبع عدا مراسلة ادبية جرت بينه وبين زملائه شعراً ونثراً في الالتزام بحرف العين في الالفاظ كافة لفتح باب المساجلة في اظهار

---

[١] ديوانه : ق : ٨ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٦ ، ٤٦ .
[٢] ديوانه : ق : ٨ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٦ ، ٤٦ .
[٣] ديوانه : ق : ٨ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٦ ، ٤٦ .
[٤] ديوانه : ق : ٨ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٦ ، ٤٦ .

الباع يظهر فيها الكلف والجمود[1] بينما تميزت قصائده في الرثاء بالحرارة و هي سبع قصائد في اربعمئة بيت اطولها قصيدة في رثاء أبيه[2].

[1] ديوانه : ق : ٨ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٦ ، ٤٦ .
[2] للمزيد عنه ينظر : الادب الاندلسي : ٢٠٩-٢٢١ ، د. منجد .